كلية العلوم الإسلامية

قسم العقيدة والفكر الاسلامي

المرحلة الثالثة

الكورس الأول

محاضرات مادة علم الكلام/ النبوات

أ.م.د ياسين طه حسن

٢٠٢٤-٢٠٢٥

مدخل عام للنبوة

تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

النبي في لغة العرب مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيم).

وإنّما سمّي النبي نبيّاً لأنه مُخْبِرٌ مُخْبَر، فهو مُخْبَر، أي: أنَّ الله أخبره، وأوحى إليه **(قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)**، وهو مُخْبِرٌ عن الله تعالى أمره ووحيه **(نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)**.

وقيل: النبوة مشتقة من النَّبْوَة، وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلق العرب لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها، والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي، أنَّ النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم.

الإرسال في اللغة التوجيه، فإذا بعثت شخصاً في مهمة فهو رسولك، قال تعالى حاكياً قول ملكة سبأ: **(وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)**، وقد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قول العرب: (جاءت الإبلُ رَسَلاً) أي: متتابعة.

وعلى ذلك فالرُّسل إنّما سمّوا بذلك لأنَّهم وُجّهوا من قبل الله تعالى: **(ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا)**، وهم مبعوثون برسالة معينة مُكلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها.

لا يصحُّ قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبي، ويدلُّ على بطلان هذا القول ما ورد في عدة الأنبياء والرسل، فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّ عدة الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، وعدَّة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر

رسولاً، ويدلّ على الفرق أيضاً ما ورد في كتاب الله من عطف النبي على الرسول **(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ إِلاّ إِذَا تَمَنّىَ أَلْقَى الشّيْطَانُ فِيَ أُمْنِيّتِهِ)**، ووصف بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدُل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله في حقِّ موسى عليه السلام: **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىَ إِنّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نّبِيّاً)** والشائع عند العلماء أنَّ النبي أعم من الرسول، فالرسول هو من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وهذا الذي ذكروه هنا بعيد لأمور:

الأول: أن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: **(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ)**، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

الثاني: أنَّ ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثمَّ يموت هذا العلم بموته.

الثالث: قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابن عباس: (عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد).

فدلّ هذا على أنَّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنَّهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم. والتعريف المختار أنَّ (الرسولَ مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله).

وقد (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ) كما ثبت في الحديث، وأنبياء بني إسرائيل كلّهم مبعوثون بشريعة موسى: التوراة وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحي الله إليهم **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِيَ إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىَ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ)**، فالنبي كما يظهر من الآية يُوحَى إليه شيء يوجب على قومه أمراً، وهذا لا يكون إلا مع وجوب التبليغ. واعتبر في هذا بحال داود وسليمان وزكريا ويحي فهؤلاء جميعاً أنبياء، وقد كانوا يقومون بسياسة بني إسرائيل، والحكم بينهم وإبلاغهم الحق، والله أعلم بالصواب.

وظيفة الأنبياء والرسل

١. التبليغ:

الرسل سفراء الله إلى عباده، وحملة وحيه، ومهمتهم الأولى هي إبلاغ هذه الأمانة التي تحملوها إلى عباد الله: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)، والبلاغ يحتاج إلى الشجاعة وعدم خشية الناس، وهو يبلغهم ما يخالف معتقداتهم، ويأمرهم بما يستنكرونه، وينهاهم عمّا ألفوه، (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَ).

والبلاغ يكون بتلاوة النصوص التي أوحاها الله من غير نقصان ولا زيادة (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ)، (كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مّنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا)، فإذا كان الموحى به ليس نصاً يتلى، فيكون البلاغ ببيان الأوامر والنواهي والمعاني والعلوم التي أوحاها الله من غير تبديل ولا تغيير.

ومن البلاغ أن يوضح الرسول الوحي الذي أنزله الله لعباده، لأنّه أقدر من غيره على التعرف على معانيه ومراميه، وأعرف من غيره بمراد الله من وحيه، وفي ذلك يقول الله لرسوله صلى الله عليه وسلم :(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

والبيان من الرسول للوحي الإلهي قد يكون بالقول، فقد بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – أموراً كثيرة استشكلها أصحابه، كما بين المراد من الظلم في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوَاْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مّهْتَدُونَ)، فقد بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن المراد به الشرك، لا ظلم النفس بالذنوب.

وكما بيّن الرسول – صلى الله عليه وسلم – الآيات المجملة في الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك بقوله.

وكما يكون البيان بالقول يكون بالفعل، فقد كانت أفعال الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الصلاة والصدقة والحج وغير ذلك بياناً لكثير من النصوص القرآنية. وعندما يتولى الناس، ويعرضون عن دعوة الرسل، فإن الرسل لا يملكون غير البلاغ (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ).

والرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله عز وجل، لم يقل شيئاً من رأيه فيما يتعلق بالتبليغ، بل ليس عليه إلا بلاغ الرسالة من الله إلى الناس، وتلاوة آياته على الناس، وتعليمهم الحكمة والتبيان، وذلك معنى كونه صلى الله عليه وسلم رسول الله فأمره ونهيه تبليغ لأمره ونهيه، وأخباره وقصصه تبليغ لما قصه الله وأخبر به، ولذا كان طاعته طاعة لله عز وجل، ومعصيته معصية لله عز وجل، وتكذيبه تكذيباً لإخبار الله عز وجل في أنه رسوله.

وأما الرسل فقد تبين أنهم هم الوسائط بيننا وبين الله عز وجل، في أمره ونهيه ووعده ووعيده وخبره، فعلينا أن نصدقهم في كل ما أخبروا به، ونطيعهم فيما أوجبوا وأمروا، وعلينا أن نصدق بجميع أنبياء الله عز وجل، لا نفرق بين أحد منهم، ومن سبَّ واحدا منهم كان كافراً مرتداً مباح الدم.

٢. الدعوة إلى الله:

النظر في دعوة الرسل مجال خصب يدلنا على مدى صدقهم، فقد جاءت الرسل بمنهج متكامل لإصلاح الإنسان، ولإصلاح المجتمع الإنساني، ودين كهذا يقول الذين جاؤوا به إنّه منزل من عند الله لا بدّ أن يكون في غاية الكمال، خالياً من النقائص والعيوب، لا يتعارض مع فطرة الإنسان، وسنن الكون، وقد وجهنا القرآن إلى هذا النوع من الاستدلال، فقال: **(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا)**.

والناظر في دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يكون مكابراً أعظم المكابرة إن لم يعتبر ولم يؤمن، فنبينا عليه السلام جاء بهذا القرآن الذي عجزت الإنس والجنُّ عن الإتيان بمثله، وقد حوى من الأخبار الماضية والآتية، والعلوم المختلفة ما يخضع له المنصف، ويجعله يسبح بحمد الله طويلاً.

هذا الكتاب وتلك العلوم تصل إلينا على يد رجل أميّ، لم يمسك بالقلم يوماً، ولم يكن يقرأ ما سطره العلماء والكتاب من قبل **(وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)**.

ليس أمراً عادياً أن يتحول رجل أميّ بين عشية وضحاها إلى معلم بشرية، يبذل العلم للناس، ويقوّم علوم السابقين، ويبين ما فيها من تحريف وتغير. لقد كان

هذا الدليل يجول في نفوس أهل مكة، فهم يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيهم بما أتاهم به، ويعلمون أُميته، ولذلك لم يكن منهم إلا النكران وجحود الحقّ بعد معرفته.

٣. التبشير والإنذار

ودعوة الرسل إلى الله تقترن دائماً بالتبشير والإنذار، ولأنَّ ارتباط الدعوة إلى الله بالتبشير والإنذار وثيق جداً فقد قصر القرآن مهمة الرسل عليهما في بعض آياته **(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ مُبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ)**.

من يطالع دعوات الرسل يجد أنّ دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار، ويبدو أنّ التبشير والإنذار على النحو الذي جاءت به الرسل هو مفتاح النفس الإنسانية، فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشر عنها، فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي يحصّلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير، وعندما تُبيَّن لها الأضرار العظيمة التي تصيب الإنسان من وراء الكفر والضلال فإنّ النفوس تهرب من هذه الأعمال، ونعيم الله المبشر به نعيم يستعذبه القلب، وتلذُّه النفس، ويهيم به الخيال، اسمع إلى قوله تعالى يصف نعيم المؤمنين في جنات النعيم: **(عَلَىَ سُرُرٍ مّوْضُونَةٍ مّتّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مّخَلّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مّن مّعِينٍ لاّ يُصَدّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مّمّا يَتَخَيّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مّمّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً إِلاّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لأَصْحَابِ الْيَمِينِ)**.

٤. اصلاح النفوس وتزكيتها:

إخراج الرسل الناس من الظلمات إلى النور لا يتحقق إلاّ بتعليمهم تعاليم ربهم وتزكية نفوسهم بتعريفهم بربهم وأسمائه وصفاته، وتعريفهم بملائكته وكتبه ورسله،

وتعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، ودلالتهم على السبيل التي توصلهم إلى محبته، وتعريفهم بعبادته **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)**.

٥. تقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة:

كان الناس في أول الخلق على الفطرة السليمة، يعبدون الله وحده، ولا يشركون به أحداً، فلمّا تفرقوا واختلفوا أرسل الله الرسل ليعيدوا الناس إلى جادة الصواب، وينتشلوهم من الضلال، **(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ)**.

أي: كان الناس أمّة واحدة على التوحيد والإيمان وعبادة الله فاختلفوا فأرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين.

وقد كان كلُّ رسول يدعو قومه إلى الصراط المستقيم، ويبينه لهم ويهديهم إليه، وهذا أمر متفق عليه بين الرسل جميعاً، ثم كُلُّ رسول يقوّم الانحراف الحادث في عصره ومصره، فالانحراف عن الصراط المستقيم لا يحصره ضابط وهو يتمثل في أشكال مختلفة، وكلُّ رسول يُعنى بتقويم الانحراف الموجود في عصره، فنوح أنكر على قومه عبادة الأصنام، وكذلك إبراهيم، وهود أنكر على قومه الاستعلاء في الأرض والتجبّر فيها، وصالح أنكر عليهم الإفساد في الأرض واتباع المفسدين، ولوط حارب جريمة اللواط التي استشرت في قومه، وشعيب قاوم في قومه جريمة التطفيف في المكيال والميزان، وهكذا، فكل هذه الجرائم وغيرها التي ارتكبتها الأمم خروج عن الصراط المستقيم وانحراف عنه، والرّسل يبينون هذا الصراط ويحاربون الخروج عليه بأيّ شكل من الأشكال كان.

٦. إقامة الحجة

لا أحد أحبّ إليه العذر من الله تعالى، فالله جلّ وعلا أرسل الرسل وأنزل الكتب كي لا يبقى للناس حجّة في يوم القيامة، **(رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)**، ولو لم يرسل الله إلى الناس لجاءوا يوم القيامة

يخاصمون الله – جل وعلا – ويقولون: كيف تعذبنا وتدخلنا النار، وأنت لم ترسل إلينا من يبلغنا مرادك منّا.

وفي يوم القيامة عندما يجمع الله الأولين والآخرين يأتي الله لكل أمة برسولها ليشهد عليها بأنّه بلغها رسالة ربه، وأقام عليها الحجّة **(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا)**.

٧. سياسة الأمة

الذين يستجيبون للرسل يُكونّون جماعة وأمة، وهؤلاء يحتاجون إلى من يسوسهم ويقودهم ويدبر أمورهم، والرُّسل يقومون بهذه المهمة في حال حياتهم، فهم يحكمون بين الناس بحكم الله **(فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ)**.

ونادى ربُّ العزة داود قائلاً: **(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ)**، وأنبياء بني إسرائيل كانوا يسوسون أمتهم بالتوراة، وفي الحديث (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلّما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ) وقال الله عن التوراة: **(يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا)** فالرسل وأتباعهم من بعدهم يحكمون بين الناس، ويقودون الأمة في السلم والحرب، ويلون شؤون القضاء، ويقومون على رعاية مصالح الناس، وهم في كلّ ذلك عاملون بطاعة الله، وطاعتهم في ذلك كلّه طاعة لله **(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)**

ولن يصل العبد إلى نيل رضوان الله ومحبته إلا بهذه الطاعة: **(قُلْ أن كُنتُمْ تُحِبّونَ اللهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ)**.

ولذا فإنّ شعار المسلم الذي يعلنه دائماً هو السمع والطاعة **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)**.

ضرورة النبوة

النبوة ضرورية لمعرفة الرب، ومعرفة، شريعته، وثوابه وعقابه، معرفة تفصيلية يقينية؛ تصلح معها وبها دنيا العبد وآخرته، فهي صلاح المعاش والمعاد، وسعادة الدنيا و الاخرة، فهي نعمة من نعم الله للعباد في تعليم الأنسان ما يلزمه لمعرفة نفسه، ومعرفة إيمانه، ومعرفة ما يلزمه من عبادة ربه، والسلوك وفق قيم الخير والعدل، للفوز بسعادة الدنيا والاخرة. وأن الانسان في حاجة لهذه المعرفة عبر النبي الأنسان القدوة الذي يتلقى من الله بصفته نبياً، ويقود البشر في عبادة ربه بصفته انسان مثلهم. فالنبوة بالتالي معرفة موقع الإنسان في ظل معرفة قدر الله، وهي ميزان الحق والعدل بإقامة الحجة على البشر، فهي ضرورة البشرية ومقتضى الالوهية.

ولم يقتصر إهتمام القرآن على الآخرة وحدها، بل كانت الحياة الدنيا من أهداف الأنبياء عليهم السلام أيضاً. فقد أكّد القرآن الكريم على أنَّ العدالة من ضرورات الحياة البشريّة، وأنّ وجود الأنبياء عليهم السلام ضروريّ لازِمٌ لبسط العدالة، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحديد، فإن الحياة الاجتماعية للإنسان تتعلَّق بشرط يتمثّل بوجود الإيمان. فالإنسان لا يستطيع أن يدير حياته الاجتماعيّة إذا بقي في إطار حالته الطبيعيّة والغريزيّة، التي تملي على كلّ فرد من أبناء البشر أن يفكّر في منفعته الشخصيّة فقط، وأن يقدّم منفعته الخاصّة على المصلحة الاجتماعيّة.

ومن اجل ذلك أرسل الله الأنبياء والرسل رحمة بالناس لتنظيم امور حياتهم، ولئلا يقصروا في عبادته بحجة انه ماجائهم من بشير ولا نذير، ولئلا ينكروا وجود الله واليوم الآخر بسبب وسوسة الشياطين وإلقائهم الشبهة في عقول البشر.

إثبات النبوة

إن صفحات التاريخ مليئة بذكر من ادّعوا النبوّة خداعاً وكذباً واستثماراً للناس مستغلِّين سذاجة الاغلبية الساحقة من جانب وانجذابهم الفطري إلى قضايا التوحيد والايمان من جانب آخر. إن المعجزة هي إحدى الطرق التي تدل على صحة إدعاء النبوة.

وإنما تدلُّ المعجزةُ على صدق ادّعاء النبوّة وارتباط النبيّ بالمقام الربوبي لأن الله الحكيم لا يمكن أن يزوّدَ الكاذب في دعوى النبوة بالمعجزة لأن في تزويد الكاذب تغريراً للناس الذين يعتبرون العمل الخارق دليلا على ارتباط الآتي بها بالمقام الربوبيّ.

وإلى هذا أشار الامامُ جعفر الصادق (عليه السلام) بقوله في جواب من سأله عن علة اعطاء الله المعجزة لأنبيائه ورسله :

لِيَكُونَ دَليلا عَلى صِدق من أتى به والمعجزة علامةٌ لله لا يعطيها إلا انبياءه وَرسلَه وحجَجَه ليعرفَ به صدق الصادق مِنْ كذب الكاذِب .

النبوة فضل وهبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده، فلا تنال بالكسب، ولا بتكلف العبادة واقتحام أشق الطاعات، ولا تدرك بتهذيب الروح وبتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الأخلاق، ولا بالوراثة، ولا أثر للذكاء فيها، ولا تأثير للمجتمع فيها.قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾ الحج. .

ولا يكون إثبات النبوة إلا باجتماع أمرين:

أولهما: ادعاء النبوة فكل من ادعى النبوة وأظهر المعجزة تصديقاً لدعواه، فهو نبي.

الثاني: المعجزة

المعجزة لغة : مأخوذة من العجز ضد القدرة .

واصطلاحاً: هي عبارة عما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله .

وقد اشترط المحققون فيها الشروط الآتية :

١ ـ أن تكون أمراً من الله تعالى، ليصدق مدعي النبوة. والأمر يشمل :

ا ـ القول: كالقرآن الكريم .

ب ـ والفعل: كنبع الماء من بين أصابع الرسول (ﷺ)

جـ ـ والترك: كعدم إحراق النار لإبراهيم الخليل (ﷺ)

٢ ــ أن تكون خارقة للعادة، التي اعتاد عليها الناس، واستمروا عليها مرة بعد أخرى. وهذا الشرط يفيد أن غير الخارق لا يكون معجزة، كما إذا قال الرسول(ﷺ) : (آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع، وغروبها من حيث تغرب) .

٣- أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة .أي أن صاحبها يقوم بدعوة إلى دين، فيه سعادة الناس في الدنيا والآخرة .وعندئذ لا تدخل في المعجزة الأمور الآتية :

أ ـ الإهانة: وهي ما يظهر على يد فاسق أو كافر، كما وقع لمسيلمة الكذاب

حين بصق في عين أعور لتبرأ، فعميت الصحيحة .

ب - الاستدراج: وهي ما يظهر على يد فاسق أو كافر، خديعة أو مكراً منه، أي استدراجاً لهم، وزيادة في غيهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون، كما قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ

أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام : ٤٤ - ٤٥].وقال رسول الله (ﷺ) : «إذا رأيت الله يعطي العبد في الدنيا وهو مقيم على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله (ﷺ) : فلما نسوا ما ذكروا. . - الآية، والآية التي بعدها) .

جـ - المعونة: وهي ما يظهر على يد العوام تخليصاً لهم من شدة .

د - الكرامة: وهي ما يظهر على يد صالح تقي .

٤- أن لا تكون متقدمة على دعوى النبوة، بل مقارنة لها أو متأخرة عنها بزمن يسير يعتاد مثله لأن المعجزة شهادة من الله تعالى على صدق المدعي، والشهادة لا تتقدم على الدعوى .

فخرج بذلك : الإرهاص (مشتق من أرهصت الحائط أي أسسته): وهو ما كان قبل النبوة من الخوارق تأسيساً لها، كإظلال الغمام له ﷺ قبل بعثته، وشق صدره ،وكلام عيسى عليه السلام في المهد .والأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الولاية .

٥ - أن تكون موافقة لدعوى النبوة .فخرج بذلك المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل .

٦ - أن لا تكون مكذبة له .فخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له، كما إذا قال : آية صدقي نطق هذا الجماد، فنطق بأنه مفتر كذاب .

٧ - أن تتعذر معارضته .وخرج بذلك :السحر: وهو قواعد تكتسب بالتعليم يقتدر بها على أفعال غريبة. والكهانة: وهي التنبؤ بالمغيبات. والشعبذة أو (الشعوذة): وهي خفة في اليد يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها ،كما يقع للحواة (جمع حاوي).

٨ ـ أن لا تكون في زمان نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها، لأن ما يظهر عند ظهور أشراط الساعة وانتهاء التكاليف لا يشهد بصدق الدعوى لكونه زمان نقض العادات.

الدليل الثاني: دليل الإرشاد

فقد أثبت المتكلمون حاجة الناس إلى النبوة وأنها تأتي لتفصيل المعارف الكلية التي استطاع العقل الإنساني الوصول إليها، و بالتالي فإنها لا تتعارض مع كل عقل سليم و ذكروا أن للبعثة فوائد تعود على الإنسان في دنياه بإرشاده إلى بعض ما يصلحها، و فوائد أخروية بإرشاده إلى سبيل النجاة يوم القيامة، و كل ذلك لا يستطيع الوصول إليه بعقله.

فيمكن تعريف الإرشاد لغةً: الهداية والدلالة، وأرشده الله، وأرشده إلى الأمر، ورشَّده: هداه، وإرشاد الضال هدايته الطريق وتعريفه.

وفي الإصطلاح : إرشاد الجاهل بمعنى إعلامه كما في صورة الجهل بالموضوع، أو بمعنى تعليمه كما في صورة الجهل بالأحكام الكلّية.

يعد الإرشاد الغرض الأساس والهدف الأسمى من بعثة الأنبياء والرسل كافة غايتها إصلاح شؤون المجتمع والارتقاء به إلى أعلى مستويات الخير والفضيلة ولما كان القران الكريم الكتاب الإرشادي الأول للمسلمين كان من الجدير بنا إن نبحث به عن المعنى الإرشادي فيه ومن خلال بحثنا في القران الكريم وجدنا إن كلمة (رشد) وردت في القران الكريم (١٣) مرة ومنها قوله تعالى : {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ

الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ }، وقد وردت كلمة (رشيد) (٣) مرات في القران الكريم ومنه قوله تعالى:{قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ }، وقد جاءت هنا بمعنى استعمال العقل بصورة صحيحة بعيدا عن الضلالة.

زيادة على انها من اسماء الله سبحانه الحسنى الرشيدُ: هو الذي أَرْشَد الخلق إلى مصالحهم أَي هداهم ودلهم عليها، فَعِيل بمعنى مُفْعِل؛ وقيل: هو الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السداد من غير إشارة مشير ولا تَسْديد مُسَدِّد.

في حين ان كلمة (مرشد) وردت في القران الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : {ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً }

فالمرشد الأول لنا الله سبحانه وتعالى اذا ما توفرت لدينا النية الخالص والايمان الحقيقي ولما كان الانسان محاطا بسور من الشهوات وهوى النفس وتأثير الشيطان فقد هيأ الله سبحانه لنا مرشدين على مدى الازمنة وهم الانبياء والرسل عيهم السلام. فقد بعث الله تعالى نبينا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلّم) رحمة للعالمين جميعاً قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رحمه للعالمين}

اما كلمة (راشد) فقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ }.

والأصل القرآني في الإرشاد يعود إلى ثاني أو ثالث نص قرآني نزل من سماء الحكمة الإلهية إلى أرض الخلافة الإنسانية ، وذلك في قوله تعالى :{ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } حيث نزل الإذن بتبليغ الرسالة الإسلامية وكانت بداية الإرشاد والدعوة إلى الله .

أما إرشاد الرسول- ﷺ-، فيتصف بوصفين هما:

١. إرشاد العموم: فهو أثر لعموم رسالته، فما من أحد بعد بعثته إلا وهو مدعوّ بدعوة الإسلام، وكلهم بمعرض تلقي الإرشاد الديني والأخلاقي من صاحب الدّعوة العامة. ولذلك كان النبي –صلى اله عليه وسلم- لا يدخر عن احد إرشاد ما حواه القرآن وصحيح الآثار.
٢. كمال الإرشاد النبوي، فمعناه أن الرّسول- ﷺ- تولى الإرشاد بجميع الطرق والكيفيّات النّي هي مظنّة التأثير في نفوس المرشدين.

فأنواع الارشادات للرسول- ﷺ- كثيرة منها:

١. الإرشاد بالقول: وهو أهم طرق الإرشاد، وفيه تظهر صفات الرسول ومميزاته. وهو أيضاً أبقى طرق الإرشاد، فإن فيه الإرشاد بالقران، وهو أنفذ كلام من الإرشاد؛ لإنه فاق كلام العرب.
٢. الإرشاد بالكتابة: فقد كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل، وكسرى، ونجاشي الحبشة، ومقوقس مصر.
٣. الإرشاد بالإشارة: فحين تكون الإشارة أوضح وأجمع، كإشارته في قوله : «الفتنة من ههنا وأشار إلى المشرق . حيث يطلع قرن الشيطان»، وفي حديث « التقوى ههنا» وهو يشير إلى صدره.
٤. الإرشاد بالفعل: فنحو صلاته على المنبر ليراه الناس، وبيانه للحج بالفعل، وقوله: «صلّوا كما رأيتموني أصلي».
٥. الإرشاد في الحضر والسفر: وقد سافر رسول الله ﷺ لأجل الإرشاد، مثل سفره لعرض نفسه على القبائل. وما الهجرة النبوية إلا أكبر سفر لأجل الإرشاد.

دليل الثالث: الأخبار المتواترة

١- تعريفه:

أ- لغةً: هو اسم فاعل، مشتق من التواتر، أي التتابع، تقول: تواتر المطر، أي تتابع نزوله.

أوبمعنى: معناه مجيء الواحد بعد الواحد بفترة بينهما.

ب- اصطلاحًا: ما رواه عدد كثير، تُحِيل العادة تواطُؤَهم على الكذب.

٢- شرح التعريف:

ومعنى التعريف: أن المتواتر هو الحديث أو الخبر الذي يرويه في كل طبقة من طبقات سنده رواة كثيرون، يحكم العقل عادة باستحالة أن يكون أولئك الرواة قد اتفقوا على اختلاق هذا الخبر.

٣- شروطه:

يتبين من شرح التعريف أن التواتر لا يتحقق في الخبر إلا بشروط أربعة وهي:

أ- أن يرويه عدد كثير، وقد اختلف في أقل الكثرة على أقوالٍ، المختار أنه عشرة أشخاص.

ب- أن توجد هذه الكثرة في جميع طبقات السند.

ج- أن تحيل العادة تواطؤهم على الكذب.

د- أن يكون مستند خبرهم الحس؛ كقولهم: سمعنا، أو رأينا، أو لمسنا، أو ... أما إن كان مستند خبرهم العقل، كالقول بحدوث العالم مثلا، فلا يسمى الخبر حينئذ متواترا.

٤- أقسامه:

ينقسم الخبر المتواتر إلى قسمين هما: لفظي، ومعنوي:

أ- المتواتر اللفظي: وهو ما تواتر لفظه ومعناه.

مثل حديث: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" . رواه بضعة وسبعون صحابيا. ثم استمرت هذه الكثرة -بل زادت- في باقي طبقات السند.

ب- المتواتر المعنوي: هو ما تواتر معناه دون لفظه.

مثل: أحاديث رفع اليدين في الدعاء، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم نحو مائة حديث، كل حديث منها فيه: أنه رفع يديه في الدعاء، لكنها في قضايا مختلفة، فكل قضية منها لم تتواتر، والقدر المشترك بينها -وهو الرفع عند الدعاء- تواتر باعتبار مجموع الطرق.

العلم الحاصل بالمتواتر

اتفق العلماء على أن الخبر المتواتر يفيد العلم، واختلف في رتبة هذا العلم .

فذهب الجمهور إلى أنه ضروري أي سهل عند سماعه من غير احتياج إلى

نظر لحصوله لمن لا يتأتى منه النظر كالبله والصبيان .

وعند الكعبي من المعتزلة وأبي الحسن البصري وإمام الرازي أنه نظري .

وقال الغزالي انه قسم ثالث ليس اولياً ولا كسبياً بل من قبيل القضايا التي

قياساتها معها .

وقال المرتضى والآمدي بالوقف عن القول بواحد من الضروري والنظري لتعارض دليليها .

والحق قول الجمهور : للقطع بأنا نجد نفوسنا جازمة بوجود البلاد الغائبة عنا ، ووجود الاشخاص الماضية قبلنا جزماً خالياً عن التردد جارياً مجرى جزمنا بوجود المشاهدات فالمنكر لحصول العلم الضروري بالتواتر كالمنكر لحصول العلم بالمشاهدات وذلك سفسطه ثم حصول العلم بالمتواتر ضروري لا يفتقر الى تركيب الحجة حتى انه يحصل لمن لا يعلم ذلك كالصبيان .

إثبات نبوة محمد نبينا - ﷺ –

تقدم أن إثبات النبوة لا يكون إلا باجتماع أمرين:

أولهما: إدعاء النبوة. وثانيهما: إظهار المعجزة

تواتر عن النبي – ﷺ- أنه ادعى النبوة بلا خلاف من أحد تواتراً ألحقه بالعيان والمشاهدة.

وثبت أيضاً عن الرسول- ﷺ- أنه أظهر المعجزة.

معجزات الرسول-ﷺ-

ومعجزاته نوعان:-

النوع الأول: كمعجزات الرسل والانبياء السابقين قصيرة الأمد، زالت بزوال أيامها، ويموت من شاهدها. والمتطلع إليها لا يجدها في الأخبار، كمعجزات موسى –عليه السلام- من: قلب العصا حيّة، وفلقها البحر، ومعجزات عيسى – عليه السلام- كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ...إلخ.

ومن هذه المعجزات ما ثبت بالقران الكريم، أو نقل إلينا بالخبر المتواتر تقدم ذكرهن.

النوع الثاني: نوع خالد خلود الدهر، ماثل في كل حين، ألا وهو القرآن الكريم.

القرآن في اللغة: مصدر قرأ، كالغفران مصدر غفر. ومنه قوله تعالى:

وفي الاصطلاح: هو كلام الله تعالى، المنزل على محمد- ﷺ- المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شُبهة، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، المتعبد بتلاوته.

والقرآن الكريم معجز، أعجز البشر أن يأتوا بسورة مثله. وهنا لا بد أن تقيم الدليل على إعجازه، لتسلم لنا نبوة محمد- ﷺ- ويسلم الاسلام كله بعد ذلك.

المعجزة

المعجزة في اللغة: من أعجز وعجز وهو ما يقابل القدرة، والهاء فيها للمبالغة، والعجز نقيض الحزم، وهو الضعف،

وفي الاصطلاح: (أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة يجريها الله على يد النبي)

قسمها بعض العلماء الى:

١- معجزة حسية: كنبع الماء بين اصبعيه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر

٢- معجزة عقلية : مثل الاخبار باحوال الامم السابقة

شروط المعجزة

- ✓ يجب أن تكون المعجزة من عند الله سبحانه وتعالى كما حدث مع سيّدنا موسى عندما فلق البحر، أو خرقاً لقوانين الطبيعة كحادثة سيّدنا إبراهيم عليه السلام، عندما ألقاه قومه في النار، وتمّ حفظه وحمايته من الله سبحانه وتعالى.
- ✓ يجب أن تكون المعجزة أمر خارق وغير موجود،
- ✓ عند حدوث المعجزة يجب أن تأتي على يد النبيّ أو الرسول وتحدث أمام الأقوام الذي سوف يتم هدايتهم؛ لأنّها تعد بمثابة تصديق للأنبياء والرسل.
- ✓ يجب أن تقترن المعجزة بنفس الزمن الذي دعا به الرسول أو النبي لرسالته، وعدم تأخّرها عن الوقت الذي يدعوا فيه.
- ✓ مطابقة المعجزة للأمر المطلوب إثباته، فإذا كانت المعجزة مخالفة لهذا الأمر، كما حدث مع مسيلمة الكذاب، تكون بمثابة تكذيب وإهانة لمن جاء بها.
- ✓ حامل المعجزة يكون ذو أخلاق حميدة وخالياً من العيوب والأخطاء.
- ✓ إذا حدثت المعجزة في أوقات تعارض الأمور الخارقة ومناقضة للعادات، فلو حدثت في مثل هذا الوقت لا تكون معجزة، كالوقت الذي يظهر به المسيح الدجال، وحديث الدواب، وطلوع الشمس من الغرب.

معاجز الانبياء

اقتضت حكمة الله تعالى أن يؤيد رسله وأنبياءه بآية تدل على صدق دعواهم، كالناقة لصالح، والعصا، واليد لموسى، وكخلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى لعيسى عليهم السلام، وكانشقاق القمر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كل هذه الآيات والعلامات دالة على نبوة الأنبياء.

جواز ظهور المعاجز لغير الأنبياء

بَعْدَ ما عرَّفْنَا بالمعجزة، أمورٌ خارقة للعادة ، ومرافقة لدعوى النبوة ، ومقرونةٌ بالتحدي ، فهناكَ أموراً من خوارق العادة أيضاً، ولكن غير مقرونة بالتحدي، ولا بدعوى النبوة ، يجريها ، تعالى على يَدِ بعض الصالحين من أتباع الرسل ، إكراماً من ، لهم ، ونسمي هذا النوع من خوارق العادات بـــ (الكرامة).

الكرامة لغة: الكرم : ضد اللؤم ، ومصدر كرم كرما وكرامة ، أعطى بسهولة وجاد فهو كريم.

الكرامة اصطلاحاً: هي ظهور أَمر خارق للعادة مقرونٍ بالمعرفة والطاعة من قبل شخص غير مقارنٍ لدعوى النبوة ، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا، وما يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة .

أما بالنسبة الى إمكانية ظهور أمور خارقة للعادة على يد أناس مؤمنين و علماء مخلصين فهذا أمر وارد و ممكن ، لكن لا تسمى مثل هذه الأمور معجزة ، بل

تُسمى بالكرامة التي يُكرم الله بها عباده الصالحين لتُعرف منزلتهم بين الناس ، و هو تكريم لهم في الدنيا قبل الآخرة ، و هذه الكرامات كثيرة ، و قد سجل التاريخ كثيراً منها لأولياء الله الكرام:

مثل قول عمر في قصة سارية وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلا وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام .

و " القدرة " مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب وقصة أهل الكهف وقصة مريم وقصة خالد بن الوليد وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي مسلم الخولاني وأشياء يطول شرحها فإن تعداد هذا مثل المطر .

وإنما الغرض التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس .

وأما القدرة التي لم تتعلق بفعله فمثل نصر الله لمن ينصره وإهلاكه لمن يشتمه .

المعجزة القرآنية

الإعجاز: إثبات العجز للغير.

يقال: أعجز القرآن البشر، أي: أثبت عجزهم عن أن ياتوا بمثله.

ولا يتحقق الإعجاز إلا بأمور ثلاثة:-

١-التحدي وهو طلب المنزلة والمعارضة ٢- عدم وجود مانع من المبارة

٣- وجود المقتضى الذى يدفع المتحدى الى المنازلة

ولبيان صحة إعجاز القرآن الكريم، لا بد أن نعرض كل شر من شروط الإعجاز المتقدمة على القرآن، ليتضح لنا إعجازه بجلاء، وذلك على النحو الآتي:

١. التحدي، وهو طلب المنازلة والمعارضة

فالقرآن الكريم تحدّي العرب، وأثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله -وهم أرباب الفصاحة البيان شعراً ونثراً- كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الطور: ٣٣ .

• وتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ هود.

• وتحداهم بأن يأتوا بسورة مثله، قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الطور. فلما عجزوا تحدى الإنس والجن بلهجة واخزة وتهكم لاذع: وهذا التحدي لم يقف عند زمن الرسول – صلى اله عليه وسلم- فحسب، بل هو ماضٍ إلى يوم القيامة.

٢. وجود المقتضي الذي يدافع المتحدي إلى المنزلة:

فالرسول – عليه الصلاة والسلام- ادعى أنه رسول الله، وجاءهم بكتاب الله (القرآن الكريم)، يسفه عباداتهم، ويسخر من عقولهم، فحرصوا على رده بأن ياتوا بمثله او ببعضه، ليدحضوا حجته، فلا يقال أنه من الله.

٣. عدم وجود مانع من المبارة:

فالمانع الذي يمنع العرب من المعارضة غير موجود، وذلك متضح في جوانب عدة وهي:

أ- جانب اللغة: فالعرب كانوا قادة الفصاحة والبيان بشعرهم ونثرهم، وكان القرآن بلسانهم.

ب- جانب المعنى: فقد كانوا على بصر وخبرة وتجارب وذكاء، كما تشير إلى ذلك طبهم وأشعارهم ومنافراتهم وآثارهم.

ج- جانب الزمن: فالقرآن لم ينزل جملة واحدة، بل نزل خلال ثلاث وعشرين سنة، ليتسع مجال المعارضة.

والعرب يعلمون أن معارضة القرآن بنظم سورة مثله أبلغ في تكذيب محمد ﷺ

وأسرع في تفريق أتباعه، لكنهم عجزوا عن ذلك ، أنهم مصاقع الخطباء، وأساطين

البلاغة في تلك الفترة الطويلة، فسلكوا سبيلاً آخر، وهو بذل النفوس، والمقارعة بالسيوف، والخروج من الأوطان، وإنفاق الأموال بالحرب الضارية.

وتحدي القرآن الكريم ثابت قديماً وحديثاً ومستقبلاً للخصوم ذوي الأفكار الخبيثة الباطلة، الذين يطعنون به ويشككون فيه. إن هؤلاء يمثلون في موقفهم ذلك موقف المتخاذل المنهزم، الذي لا حول له ولا قوة. وما ذلك إلا اعتراف كامل بأن القرآن الكريم كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فما على هؤلاء إلا الانقياد والامتثال، لما فيه من الأوامر والنواهي، والإيمان بما جاءت به السنة النبوية المطهرة .

الفرق بين المعجزة والكرامة

المعجزة هي الآية الخارقة للعادة التي يؤيد الله بها أنبياءه ورسله ، ويتحدون بها الناس .أما الكرامة فهي شيء خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد أحد أوليائه .

وهناك فروق كثيرة بين المعجزة والكرامة ، منها :

- أن المعجزة مبنية على الإظهار والاشتهار ، وأن صاحبها (وهو النبي) مأمور بإظهارها ، بينما الكرامة مبناها على الكتم والستر ، وصاحبها (وهو الولي) مأمور بكتمانها .
- المعجزة تكون مقرونة بالتحدي وبدعوى النبوة ، أما الكرامة فغير مقرونة بالتحدي ، ولا بدعوى فضيلة ولا منزلة عند الله .
- ثمرة المعجزة تعود بالنفع والفائدة على الغير ، والكرامة في الغالب خاصة بصاحبها .
- المعجزة تكون بجميع خوارق العادات ، والكرامة تختص ببعضها .
- المعجزات خاصة بالأنبياء ، والكرامات تكون للأولياء.

❖ الأنبياء يحتجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم قاسية ، والأولياء يحتجون بالكرامة على نفوسهم حتى تطمئن وتوقن ولا تضطرب .

وجوه إعجاز القران الكريم

القرآن الكريم كتاب تشريع ودستور للناس، تبنى به حياة عزيزة كريمة وارفة الظلال، تعمر بها الأرض.

ولم يكن مقصده الأصلي أن يؤصل نظريات علمية، أو أن يقص علينا أنباء الأولين، أو أن يكون صورة أدبية فريدة في الأسلوب، لكنه ذكر آيات الله في الخلق بذلك الأسلوب الرفيع، ليعلمهم أنه كلام إلهي معجز في حد ذاته، وليؤكد الإيمان به، وتتخذ العبر من قصصه.

<u>والقرآن الكريم معجز من وجوه متعددة، أظهرها ما يأتي:</u>

الوجه الأول : فصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، وعجيب نظمه

والعلماء اختلفوا في تحديد لهذا الوجه على النحو الآتي:

١. إعجاز القرآن في بلوغه الطبقة العليا من الفصاحة، والدرجة القصوى من
البلاغة، على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء البيان بمهارتهم وإحاطتهم بأساليب الكلام. وهذا هو قول الجمهور).

وأصل البلاغة في القرآن الكريم متفق عليه، لا ينكره من له أدنى تمييز ومعرفة بصياغة الكلام.

فجميع ألفاظ القرآن الكريم فصيحة، لا تنبو عن السمع، وعباراته مطابقة لمقتضى الحال في أعلى مستويات البلاغة، ولهذا واضح في تشبيهاته واستعاراته ومجازاته وأساليبه المختلفة.

٢. إعجاز القرآن الكريم في نظمه (أي: تأليفه) الغريب، واسلوبه العجيب.

وللنظم معنيان:

المعنى الأول: النظم هو ترتيب الكلمات، وضم بعضها إلى بعض. وهذا النظم يخالف المعتاد من أساليب كلام العرب في:

مطالعه: أي: أوائل السُور والقصص، مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ۝١﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾

ومقاطعه: أي: أواخرها، مثل: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾، ﴿يَفۡعَلُونَ ۝٣٦﴾.

وفواصله: أي: آخر الآيه، التي هي بزنة الأسجاع في كلامهم.

فإن لهذه الأمور المذكورة وقعت في القرآن على وجه لم يعهد في كلامهم وكانوا عاجزين عنه. وبه قال بعض المعتزلة.

المعنى الثاني: النظم هو جمع الكلمات مترتبة المعاني، متناسقة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل. فبلغ نظمه في الفصاحة والمطابقة لمقتضى الحال الخد الخارج عن طوق البشر. وهو قول عبد القاهر الجرجاني.

لذلك فإن أشراف العرب مع كمال حذاقتهم في أسرار الكلام وفرط عداوتهم للإسلام لم يجدوا للطعن فيه مجالاً، ونسبوه إلى السحر على ما هو دأب المحجوج

المبهوت تعجباً من فصاحته وحسن نظمه وبلاغته، واعترفوا بأنه ليس من جنس خطب الخطباء أو شعر الشعراء.

٣. إعجاز القرآن بمجموع الأمرين السابقين: النظم الغريب، وكونه في الدرجة العالية من البلاغة، من غير استقلال لأحدهما. وهو قول القاضي الباقلاني.

والذي يتتبع تاريخ اللغات يجد أنها متطورة تدريجياً، أما اللغة العربية فلم يحدث

لها تطور تدريجي حين جاء القرآن، بل بعض ما يشبه الانفجار المباغت، فطفر باللغة من مرحلة اللهجة الجاهلية إلى لغة منظمة فنياً، مع أنه لم يستعمل مطلقاً ألفاظاً أجنبية عن لهجة الحجاز. فكأنه استحضر ثروته اللفظية الخاصة، وأنشأها بطريقة غريبة، فأحدث انقلاباً هائلاً في الأدب العربي بتغييره الأداة الفنية في التعبير، فخلق من الوجهتين الأدبية واللغوية فصلاً تاماً بين اللغة الجاهلية واللغة الإسلامية.

الوجه الثاني : تأثيره وسلطانه على القلوب، وأخذه بمجامع الأفئدة

فقارئُه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده

يوجب له محبة، فإذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة ما تنشرح له

الصدور، وتستبشر به النفوس.

ودليل ذلك ما يأتى:

أنهم كانوا يهيمون على وجوههم ليلاً، فيهجرون لذة النوم ليستمعوا إلى رسول الله ﷺ، وهو يتلو القرآن الكريم، قائماً بالليل أو في صلاة الفجر، فتطرب نفوسهم، وتهش له أفئدتهم.

كان المشركون يجتهدون في صد الرسول ﷺ عن تلاوة القرآن في الكعبة، وفي مجامعهم وأسواقهم، وكانوا يتواصون بعدم سماعه، قال تعالى فيهم:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾ ، لئلا يسمعها المشركون، وعندها تعتريهم هيبة القرآن فيسلمون.

وكان أبو بكر رضي الله عنه حين يقرأ القرآن لا يملك عينيه من البكاء، فكان يجتمع الأولاد والنساء، وهم يعجبون منه وينظرون إليه. فحمل ذلك قريشاً على منعه من الصلاة في المسجد الحرام، ثم من داره. و حين قرأ رسول الله ﷺ القرآن في الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار آمنوا به وعادوا إلى المدينة فأظهروا الدين بها فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه قرآن.

وقد روي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المدينة بالقرآن.
روي عن نصراني أنه مر بقارئ – يتلو القرآن جهراً – فوقف يبكي، فقيل له: لم بكيت؟ فقال: للشجا والنظم.

والمراد بالشجا هو الحزن الذي أصابه من استماعه، فرق قلبه وخشع بدنه.

والمراد بالنظم هو رونق انتظامه وحُسن انسجامه.

الوجه الثالث : إخباره بوقائع غيبية، لا يعلمها إلا الله ، في الماضي أو الحاضر أو المستقبل

١. فقد أخبر عن غيب الماضي:

وقص علينا قصص الأنبياء السابقين مثل: آدم ونوح وهود وصالح ويعقوب ويوسف وإبراهيم... وأتمهم.

فبعد أن قص قصة نوح، قال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

وبعد أن قص قصة ولادة سيدتنا مريم عليها السّلام وكفالة زكريا لها، قال: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.وغير ذلك من القصص.

٢. وأخبر عن غيب الحاضر :

أ- فتحدث عن الملائكة والجن، وعن الجنة والنار، وما يتصل بالله تعالى من صفات.

ب- كما أوضح حقيقة مسجد الضرار، الذي بناه المنافقون، وأرادوا به تفريق المؤمنين والإيقاع بينهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

ج- وفضح ما عليه المنافقون مما خفي عليه ﷺ فقال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

٣- وأخبر عن غيب المستقبل:

أ- فقد أخبر عن غلبة الروم. روى الترمذي عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم، لأنهم وإياهم أهل كتاب، وذلك قول الله تعالى:﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ .

ب- وقال تعالى مخاطباً النبي ﷺ أنه سيدخل مكة، وهو لم يملك بعد قوة دخولها: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿٢٧﴾ ﴾. رأى رسول الله ﷺ في المنام قبل خروجه إلى الحديبية: أنه هو وأصحابه دخلوا مكة آمنين، وقد حلقوا وقصروا، فقص رؤياه على أصحابه، فاستبشروا، وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم، وقالوا: إنّ رؤيا رسول الله ﷺ حق. فلا تأخر ذلك، اعترض بعض المنافقين كعبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث: والله ما حلقنا، ولا قصّرنا، ولا رأينا المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى:﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ ﴿٢٧﴾ ﴾، فأعلمهم أنهم سيدخلون مكة في غير هذا العام، وأن رؤياه

ج - كما أخبر القرآن الكريم بأن الله عاصم نبيه فلا يمكن اغتياله، مهما دبروا له من مكائد، وحرصوا على التخلص منه وقتله. قال تعالى:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴿٦٧﴾ ﴾.عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس، حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم:(يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله).

د- نزل قوله تعالى: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ، بمكة، والجهاد لم يشرع إلا في السنة الثانية للهجرة، تنبؤا بهزيمة المشركين وانتصار المسلمين، حتى إن عمر رضي الله عنه – فيها روى ابن أبي حاتم وابن مردويه - جعل يقول حين نزلت هذه الآية: أي جمع هذا؟ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يقولها.

فهذه الغيبيات التي ذكرها القرآن الكريم وغيرها كثير، وردت أنباؤها بشكل قاطع لا تردد فيه، وقد حدثتنا الأيام والوقائع عن صدقها تماماً، فهل جاء بها لهذا الرجل من عند نفسه؟ مع القطع بأنه كان أميا لا يكتب ولا يقرأ، ولم يعهد منه ﷺ في جميع أزمانه تعاط لدراسة كتب ولا تعلمها، وقد نفى عنه سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ، إنه لا بد أن يكون قد استقاها من مصدر وثيق لا يقبل الخطأ، هو الوحي من الله تعالى خالق كل شيء، ولا يمكن لعاقل أن يحكم بأنها من عبقرية هذا الرجل، لأن المتنبئ يتخذ من تجاربه الماضية مصباحاً يكشف بضوئه بعض خطوات من مجرى الحوادث المقبلة، ثم يصدر حكمه بكل تحفظ وحذر، ولا يمكنه أن يبت با يقول، لأنه عندئذ يكون أحد رجلين:

إما رجل مجازف لا يبالي بما يقول صدقاً أو كذباً، وهو شأن العرافين والمنجمين.

وإما رجل اتخذ عند الله عهداً، فلن يخلف الله عهده، وهي شئة الأنبياء والمرسلين.

والنبوءات التي وردت في القرآن تدل دلالة قاطعة على أنها من عند الله تعالى على لسان رسوله الكريم، ولا يمكن أن تكون من قبيل المجازفة الواردة على ألسنة العرافين.

الوجه الرابع:حقائقه العلمية التي جاء العلم الحديث يؤكدها

شد القرآن العظيم أنظار الناس إلى الكون ونواميسه، وإلى ما فيه من مخلوقات، تأكيداً على أنه من الله تعالى، فما على المرء إلّا الامتثال له.

ومن تلك الشذرات العلمية التي ذكرها وأكدها العلم الحديث بحقائقه الثابتة ما يأتي:

١ - كان علماء الفلك منذ قرون طويلة قبل الميلاد إلى ظهور المراصد الفلكية قد انقسموا إلى فريقين:

أحدهما: يرى أن الأرض ثابتة، وهي مركز العالم، والسيارات تدور حولها.

وثانيها: يرى أن الشمس ثابتة والأرض والسيارات تدور حولها.

لكن القرآن الكريم أكد أن الأجرام السماوية متحركة سابحة في أفلاكها، قال تعالى:﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾، وجاءت المراصد الحديثة تؤكد ما جاء به القرآن العظيم، وهي أن كل جرم سابح في الفضاء غير ثابت.

٢ - قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ، يدل على أن الكون في توسع مستمر.

يقول السير جيمس جينز: (مقدار هذا التمدد بنحو مائة وخمسة أميال في الثانية، لكل بُعد قدره مليون سنة ضوئية، وإن حجم الفضاء العالمي الآن يبلغ نحو عشرة أمثال حجمه منذ بدء تمدده، أي أن كل بُعد من أبعاده الثلاثة قد زاد قليلاً على ضعف قدره الأصلي).

ومسألة اتساعه أصبحت من مسلمات العلوم الآن، وهي التي هالت أنشتاين،

واكتشف (هابل) عالم الطبيعة أن الكواكب السِّدِيمية تبتعد عن سديمنا، واستنبط عالم

الرياضة البلجيكي (لومتر) من ذلك نظرية امتداد الكون.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ ﴾ ، الآية تبين لهذه الحقيقة، وتصرح بها أدق النظريات الجيولوجية التي تقول: بأن للجبال جذوراً وتدية في الأرض يعدل امتدادها ضعفي ارتفاع الجبل عن الأرض.

٤- قوله تعالى:﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٠ ﴾ ، الآية مصرحة بأن السماوات والأرض كانتا كتلة واحدة، فجزئت إلى هذه الأجزاء. والنظريات الحديثة تذكر أن الأجرام السماوية كانت في الأصل شدياً واحداً.

شبهة ورد

إذا قيل: إن النظريات العلمية قد تتغير، فنحن لا نخضع القرآن الكريم لأمثال

لهذه التفسيرات، لأن البحث قد يكشف خطأ نظرية قديمة.

فالجواب: أن تفسيرات آيات القرآن الكريم با يكشفه العلم على وفق قواعد

التفسير وضوابطه من اللغة وغيرها ما هو إلا فهم لتلك الآيات، فإذا تبين خطأ النظرية تبين خطأ ذلك التفسير، أما إذا كانت الآية لا تحتمل التفسير الجديد، فلا تفسر عندئذ وفق النظرية الجديدة، بل تنتظر أن يجد البحث فيها، حتى يظهر خطأ تلك النظرية.

الوجه الخامس: معانيه وأحكامه وانعدام الاختلاف فيه

مجموع ما في القرآن الكريم حوالي ستة آلاف ومائتا آية، اشتملت على موضوعات

في شتى الميادين، للإيفاء بحاجات البشر وإصلاحهم.

ومحتوياته نوعان: أحكام وغيرها.

النوع الأول: أحكام القرآن، وهي ثلاثة أقسام:

١- أحكام اعتقادية: في وجوب اعتقاد المكلف بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

٢- أحكام خلقية: في وجوب التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

٣- أحكام عملية: وهي تنتظم نوعين:

أ- أحكام العبادات، لتنظيم علاقة الإنسان بربه، من صلاة وزكاة وحج وصوم...،وآياتها نحو ١٤٠ آية.

ب- أحكام المعاملات وتتنوع إلى الأنواع الأتية:

-أحكام الأحوال الشخصية المتعلقة بالأسرة، من زواج وطلاق، وآياتها نحو ٧٠آية.

- الأحكام المدنية المتعلقة بالبيع والإجارة والرهن والكفالة والشركة... إلخ، وآياتها نحو ٧٠ آية.

- والأحكام الجنائية المتعلقة بالعقوبات والحدود، لحفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم، وآياتها نحو ٣٠ آية.

- أحكام المرافعات المتعلقة بالقضاء والشهادة واليمين، لتحقيق العدل، وآياتها نحو ١٣ آية.

- الأحكام الدستورية المتعلقة بنظام الحكم وأصوله، وآياتها نحو ١٠ آيات.

- الأحكام الدولية المتعلقة بمعاملة الدولة الإسلامية لغيرها ومعاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، وآياتها نحو ٢٥ آية.

- الأحكام الاقتصادية والمالية المتعلقة بحق السائل والمحروم في مال الغني وتنظيم الموارد والمصارف، وآياتها نحو ١٠ آيات.

النوع الثاني: غير الأحكام، وهي ثلاثة أقسام:

١. الإرشاد إلى النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض لمعرفة أسرار

الخلق، فتمتلئ القلوب إيماناً بجلال الله وعظمته عن طريق النظر والاستدلال، وهو طريق جليل يفتح الآفاق للعلماء وغيرهم لإدراك الله وقدرته، وقد انتفع به غيرالمسلمين كثيراً حينها خاضوا غمار الكون، وعرفوا أسراره فاستخدموها في نواحي الحياة.

٢. قصص الأولين أفراداً وأئماً، وقد أوردها القرآن الكريم للاعتبار والاتعاظ، حتى يصلح الناس فينفوا عنهم الخبث والفساد.

٣. الإنذار والتخويف أو الوعد والوعيد، وللقرآن في ذلك طريقان:

أحدهما: الوعد والوعيد في الدنيا، فيعد المؤمنين بالاستخلاف في الأرض والتمكين لهم والعز، قال سبحانه:قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿٥٥﴾ ﴾ .ويعد الكافرين بتقلص السلطان والجوع، والخوف، قال تعالى:﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

ثانيها: الترغيب والترهيب بنعيم الآخرة وعذابها.قال سبحانه:﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ .

وقد استغرق نزول القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين سنة، فلم يحدث فيه اختلاف:

أ- في بلاغة عباراته: فلا نجد فيه عبارة بليغة وأخرى غير بليغة، لأن كل عبارة مطابقة لمقتضى الحال الذي وردت من أجله، كما أن كل لفظ فيه هو في موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه.

فآيات الأحكام كآيات الميراث تخلو من أسلوب الخطابة والتأثير، بخلاف الآيات المستهزئة بالشرك والأوثان، أو الدالة على قدرة الله تعالى، أو المخوفة من شدائد اليوم الآخر، فإنها جاءت ذات طابع مؤثر محرك للوجدان، لأن لكل مقام مقالاً.

ب - ولا في أحكامه وحججه: فليس فيه معنى يعارض معنى، ولا حكم يناقض آخر، وما جاء في القرآن مما ظاهره التعارض، فهو بعد البحث متفق متّسق لا اختلاف فيه، كما هو واضح في كلام المفسرين، لذلك قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

الوجه السادس: القرآن الكريم خالد خلود الدهر

فلا يعدم ما بقيت الدنيا، ولا يطرأ عليه تغيير بزيادة أو نقصان، لأن الله تعالى قد تكفل بحفظه، قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ، ولا يخفى ما في هذه الآية الكريمة من المؤكدات اللغوية، الدالة على أن الله تعالى حفظه من التحريف والتبديل. وقال سبحانه:﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

وبعد عرض وجوه إعجاز القرآن الكريم:

هل يفكر عاقل فيقول: إن محمدا ﷺ جاء بهذا القرآن من فكره، أو عبقريته، أو باعتماده على بحيرا وورقة وغيرهما...؟

فلو أنصف العاقل ما قرر إلّا الحقيقة الكبرى وهي: أن القرآن الكريم معجز،وهو من لدن عزيز حكيم.

صفات الانبياء والرسل

وهب الأنبياء والرسل الكفاءة العالية لقيادة الناس وهدايتهم الى الصراط المستقيم، لذلك امتازوا بصفات فيها جميع خصال الخير، بعيدة عن جميع النقائض، التي لا تليق بهم، وهذه الصفات الواجبة في حقهم هي:

الصفة الأولى: العصمة:

العصمة لغةً: الحفظ

واصطلاحًا: هي لطف من الله يحمله على فعل الخير ويزجره عن فعل الشر مع بقاء الاختيار تحقيقًا للابتلاء أو هي أن لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبًا، والذنب إما أن يكون من الكبائر أو من الصغائر.

أولاً: العصمة من الكبائر:

للكبائر تعريف مختلفة منها إنَّ الكبائر هي: ما ترتب عليها حد او توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب.

أمّا الصغائر: هي ما ليس فيها حدٌ في الدنيا ولا وعيدٌ في الآخرة.

والكبائر إما كفرٌ أو كذبٌ أو غيرهما من الذنوب الكبيرة الأخرى وتفصيل عصمة الأنبياء عن هذه الأنواع هو:

١. **العصمة من الكفر:** اتفق جمهور المسلمين على أن الانبياء عليهم السلام معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده ولا يجوز الكفر عليهم بحال صغرهم تبعًا للوالدين، لأنَّهم مؤمنون بالله، عارفون بهِ حقيقةً فلا يجري عليهم حكم الكفر تبعًا.

٢. **العصمة من الكذب:** الصدقُ هو مطابقة حكم الخبري للواقع وانواعه ثلاثة:

أ. الصدق في دعوى الرسالة.

ب. الصدق فيما يبلغونه عن الله إلى الناس من الأحكام الشرعية.

ج. الصدق في جميع ما ينطق به مما يتعلق بامور الدنيا وضده الكذب.

ويستحيل صدور الكذب عن الانبياء على سبيل العمد كما اجمع اهل الملل والشرائع كلها، ويستحيل صدوره على سبيل السهو والنسيان عند أكثر الأئمة الأعلام وهو المعتمد على ما افاده المحققون.

والدليل العقلي على صدق الانبياء هو:

أ. لو جاز عليهم الكذب والافتراء للزم الكذب في خبره تعالى، وهو محال، لأنهُ تعالى صدَّقهم بالمعجزات.

ب. الكذب معصية وهو معصومون منها.

والدليل النقلي على صدقهم:

أ. قوله تعالى: (وصَدَقَ المرسلون).

ب. قوله تعالى: (وما ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى).

ج. في الحديث قالوا: يا رسول الله إنَّك تداعبنا قال: إني لا أقول إلا حقا.

اما ما ظاهره الكذب في حق الانبياء، كما في واقعة إبراهيم الخليل عليه السلام حين كَسَّرَ الأصنام وأبقى كبيرها فلما سُئلَ (قالو أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم فاسئلوهم إن كانوا ينطقون) فإنَّه يؤول بأنَّ قصدهُ التبكيت والاستهزاء لأنهُ لم يكن عند الأصنام غيره فما فائدة قولهم مَنْ فعل هذا وقيل معناه سلوهم إن نطقوا يصدقون، وإن لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بأنه هو الفاعل.

٣. **العصمة من الكبائر الأخرى:** ونبين هنا حال صدور الكبيرة عنهم عمدًا أو سهوًا قبل البعثة أو بعدها.

أ. **قبل البعثة:** الانبياء قبل بعثتهم معصومون من صدور الكبيرة التي توجب النفرة منهم كعهر الأمهات والفجور في الآباء.

ب.**يعد البعثة:** هم معصومون منها عمدًا وهو قول الجمهور من المحققين والأئمة ومعصومون منها سهوًا أو على سبيل الخطأ في التأويل.

ثانيًا: العصمة من الصغائر:

الصغائر نوعان:

أ. **صغائر الخسة** التي تلحق فاعلها بالأراذل كسرقة حبة أو لقمة والأنبياء قبل البعثة معصومون منها وبعد البعثة كذلك فلا تصدر عنهم أصلاً لا عمدًا ولا سهوًا بالاتفاق.

ب. **الصغائر الأخرى:** الأنبياء غير معصومين منها قبل البعثة عمدًا وسهوًا أما بعد البعثة فهم معصومون منها عمدًا، وتجوز سهوًا لكن لا يصرون عليها ولا يقرون من الله تعالى عليها، بل ينبهون فيتنبهون. وعليه المحققونَ لقوله عليه الصلاة والسلام: (إنَّما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني).

ثانيًا: العصمة من الصغائر:

الصغائر نوعان:

أ. صغائر الخسة التي تلحق فاعلها بالأراذل، كسرقة حبة أو لقمة والتطفيف بتمرة. والأنبياء قبل البعثة: معصومون منها.

وبعد البعثة كذلك، فلا تصدر عنهم أصلا لا عمدا ولا سهوا بالاتفاق.

ب.**الصغائر الأخرى** : والأنبياء غير معصومين منها، قبل البعثة عمدا وسهوا.

أما بعد البعثة فهم معصومون منها عمدا، وتجوز سهوا، لكن لا يصِرون عليها، ولا يقرون من الله تعالى عليها، بل ينبهون فيتنبهون. وعليه المحققون من المحدثين والسلف الصالح لقوله ﷺ: (إنما أنا بشر أنسى كما تنسون؛ فإذا نسيت فذكروني).

أدلة عصمة الأنبياء

استدل العلماء على عصمة الأنبياء بأدلة كثيرة منها:

١. لو صدر منهم الذنب، لحرم اتباعهم فيما يصدر عنهم، مع أن اتباعهم فرض وللإجماع، ولقوله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ).

٢. لو أذنبوا لرُدَّت شهادتهم، إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع، ولقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)، لأن مَن لا تُقبل شهادته في القليل الزائل من متاع الدنيا، كيف تُسمع شهادته في الدين القيم.

٣. إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم، لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا شك أن زجرهم إيذاء لهم، وإيذاؤهم حرام إجماعا. لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا).

٤. لو أذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطعن، لدخولهم تحت قوله تعالى : (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيها)، وقوله سبحانه (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ)، لكن ذلك منتفٍ بالإجماع، ولكونه من اعظم المنفرات.

٥. قوله تعالى في إبراهيم وإسحاق ويعقوب: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) فيتناول جميع الخيرات من الأفعال والتروك، وقوله تعالى (وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) أي: من المصطفين الأخيار في كل الأمور، فلا يجوز صدور ذنب عنهم.

٦. لو جاز عليهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرّم أو مكروه، للزم أن يكون ذلك المحرم أو المكروه طاعة، لأن الله تعالى أمرنا بطاعتهم واتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل. فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكل مأمور به، فهو طاعة، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء.

وما نقل عن الأنبياء مما يشعر بمعصيته:

فما نقل بطريق خبر الآحاد فمردود، لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء.

وما نقل بطريق التواتر فيفسر: بأنه نسيان أو زلة، أو بأنه حدث قبل البعثة، أو بأنه من الصغائر، أو بأنه من قبيل ترك الأولى والأفضل.

وترك النبي ﷺ الأفضل إنما هو في الأمور التي لم يرد بها نص صريح. فهو يُعمل نظره وفكره، ويبذل وسعه أولاً، ومع ذلك فهو يخطى، فيعاتب عندئذ على تركه الأفضل.

ومن النصوص التي تشعر بمعاصي الإغواء:

أولا، ما ورد في قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم:

قوله تعالى: (وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ).

والعصيان من الكبائر، بدلالة قوله تعالى: (مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ).

والغواية اتباع الشيطان، لقوله تعالى: (إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)، وقوله تعالى: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) واستحقاق الاخراج من الجنة بسبب ازلال الشيطان لهما، يدل على ان الصادر منهما كبير.

وخالف آدم النهي عن الأكل من الشجرة. وارتكاب المنهي عنه ذنب.

أجيب عنها: بأن ذلك كان قبل البعثة، لأنه له تكن له في الجنة أمة.

وكان ذلك عن نسيان لقوله تعالى: (فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)، او كان سهوًا، حين ظنَّ آدم عليه السلام أن المنهي عنها شجرة بعينها، وقد قرب فردًا آخر من جنسها.

ثانيا. ما ورد في قصة موسى عليه السلام من قتله المصري (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ).

وقله كان عدوانا، لقوله سبحانه: (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)، وقوله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي)، وقوله تعالى: (فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ).

أجيب: بأن قتله المصري كان قبل النبوة، وجاز أن يكون قتله خطا، وما صدر منه من أقوال، فهو محمول على التواضع وهضم النفس.

ثالثا: وما ورد في حق نبينا محمد ﷺ من نصوص مثل:

١. قوله تعالى: (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ)، وقوله سبحانه (لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ). وقوله تعالى: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)، فأسند الذنب للنبيﷺ وتاب عليه، ولا وجود للتوبة إلا مع الذنب.

أجيب: بأن ذلك الذنب كان قبل النبوة، أو أنه محمول على ما فرط منه من الزلة ترك الأفضل، أو نسب إليه ذنب قومه، فإن رئيس القوم قد ينسب إليه ما يفعله أتباعه. أي استغفر لذنب أمتك، وتاب الله على أمة النبي، وليغفر لأجلك ما تقدم من ذنب امتك، وما تأخر عنه.

٢. وقوله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى).

أجيب: بانه محمول على أنه عتاب على ترك الأفضل والأولى مما يليق بخلقه العظيم، ومثله يعاتب على مثله، فأخطأ في اجتهاده، فعبس في وجه الأعمى ابن أم مكتوم، حين جاء يسأله عن الدين، لأنه رأى أن مجادلة صناديد قريش قد تؤدي إلى انهم سيميلون إليه فيُسلمون، وأن الإعراض عنه قد يزيد في حقدهم ونفرتهم عن الإسلام. لذلك انشغل بهم عن ابن أم مكتوم الأعمى المسلم، الذي جاء مستزيدًا من

الإسلام. فلأولى أن لا يعبس بوجهه، فيتولى عنه، بل يتلطف معه، لما له من منزلة الإسلام.

٣. وقوله تعالى: (عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ).

أجيب: بأنه تلطف في الخطاب، وعتاب على ترك الأفضل، وإرشاد إلى الاحتياط في تدبير لخيرات. فإنه ﷺ أذن لجماعة تعللوا بأعذار- كان الأولى ألا تُقبل منهم فتخلفوا، عن غزوة تبوك، وتارك الأفضل في أمور الحرب قد يعاتب.

٤. وقوله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

أجيب: بأنه محمول على ترك الأفضل.

لأن الرسول ﷺ حين استشار أصحابه في أخذ الفداء من أسرى بدر، ومنهم سبعون من أشراف قريش، وآثر أكثرهم أخذ الفداء على القتل، اجتهد فأيدهم، لأنه رق لحالهم، ورجا أن يُسلموا، أو يخرج من أصلابهم المؤمنون، ولينتفع المسلمون بمال الفدية في شؤونهم، فأخطأ في اجتهاده وكان الأفضل ألا يؤثر أخذ الفداء على نصرة الإسلام.

وبعد كل هذا فإن الله تعالى لم يُبق رسوله على خطأ، لأنَّه لو أقره على الخطأ، لتساوى الخطأ والصواب في الشرع، ولكان ذلك تضليل ومدعاة إلى التشكيك في الشريعة.

وكان الرسول ﷺ يرجع إلى الصواب الذي بينه الله تعالى له، ولا يكتم من الوحي شيئا من تسجيل الخطأ عليه، أو توجيه العتاب إليه.

حكمة تسجيل زلة الأنبياء:

فإن قيل: فما بال زلة الأنبياء حكيت في القرآن، بحيث تتلى على مر الزمان، مع أن الله تعالى غفار ستار، وقد أمرنا بالستر على مرتكب الذنب؟

أجيب: بأن تسجيل زلتهم يدل على:

١. صدق الأنبياء، وأن ما يبلغونه يكون بأمر الله تعالى بلا إخفاء لشيء منه.

٢. إن الأنبياء على جلالة قدرهم وكثرة طاعتهم، يلجؤون إلى الله تعالى دائمًا بالاستغفار والتضرع في أدنى زلة، فعلى الناس–وهم ادنى مرتبة منهم بكثير– أن يتضرعوا إلى الباري كل حين.

٣. إنَّ الصغائر ليست مما يقدح في الإيمان، فلا تكفّر الإنسان.

الصفة الثانية: التبليغ

هو إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم، ليرشدوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وكل منهم لم يُخفِ عن الناس من ذلك شيئًا عمدا أو سهوًا.

وأقسام الموحى بهِ ثلاثة:

١. قسم أُمروا بكتمانه. فهو خاص بينهم وبين ربهم.

٢. قسم خيروا فيه بين التبليغ وعدمه.

٣. قسم أمروا بتبليغه.

وهذا القسم (الأخير) هو الذي بلغوه، إلى من أُرسلوا إليه، لأنهم مأمورون بتبليغه، لوجوبه عليهم.

والدليل العقلي على وجوبه:

١. أنهم لو كتموا شيئًا مما أُمروا بتبليغه للخلق، لكنا مأمورين بكتمان العلم، لأن الله أمرنا بالاقتداء بهم، مع أن الأحاديث صريحه في أن كاتم العلم ملعون.

٢. إنَّهم لو كتموا شيئا مما أُمروا بتبليغه، لكانوا خائنين، مع أنهم معصومون عن الخيانة.

٣. أنَّهم مبشرون ومنذرون، لقوله تعالى: (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)، ولا يتم التبشير والإنذار إلا بالتبليغ.

٤. لو أنهم كتموا ما أُمروا بتبليغه لكانوا ملعونين بنص الكتاب: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ).

والدليل النقلي:

قوله تعالى: (مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ).

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ).

الصفة الثالثة: الفطانة

هي، التيقظ والتفطن وحدّة العقل والذكاء وسداد الرأي.

فكل رسول ونبي تجب له هذه الصفة، فلا يجوز أن يكون مغفلا أو بليدًا أو أبله.

الدليل العقلي على وجوب هذه الصفة للأنبياء:

١. لأنهم أُرسلوا لإقامة الحجج وإبطال شبه المجادلين، ولا يكون ذلك من البله أو من المغفلين.

٢. لأنَّهم ساسة الجميع ومرجعيهم في المشكلات.

٣. لأننا مأمورون بالاقتداء بهم في الأقوال والأفعال، والمقتدى به لا يكون بليدًا.

٤. والبلادة والغفلة صفة نقص، تخل بمنصبه الشريف.

والدليل النقلي عليها:

١ . قوله تعالى: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا).

٢. وقوله تعالى: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ).

٣. وقوله تعالى: (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، أي: بالطريق التي هي أرفق بهم، والجدال لا يكون إلا من فطن دكي.

الصفة الرابعة: الذكورة

اتفق العلماء على أن الذكورة شرط في النبي، فلا يجوز أن تكون المرأة نبية، بل إن بعضهم نقل الإجماع على هذا القول. ومن أدلة هذا الشرط ما يأتي:

أ. قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ).

ب. وقوله تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا).

ج. **النبوة والرسالة تقتضي:** الاشتهار بالدعوة، والتردد إلى مجامع الناس، وإظهار المعجزة، ولزوم الاقتداء، والأنوثة توجب الستر، فبينهما تنافٍ.

د. لأن النساء لا يصلحنَّ للإمارة والسلطنة والقضاء وإقامة الصلاة بالإجماع. أما الأشعري والقُرطبي وبعض أهل الظاهر فلم يشترطوا الذكورة في النبي.

وقالوا بنبوة مريم، مستدلين:

باصطفاء الله تعالى لها بقوله: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ).

وقالوا، بنبوة أم موسى مستدلين:

بوحي الله تعالى إليها، بقوله سبحانه: (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ)

ورد الجمهور على هذا الزعم قائلين :

إن اصطفاء، مريم وإرسال جبريل إليها لم يكن وحيا بشرع، إذ لا دلالة عليه من الآيات المذكورة. والوحي إلى أم موسى لا يراد به إلا معنى الإلهام، كقوله تعالى: (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...).

الصفة الخامس: السلامة من النقائص

وأعني بهذا الشرط الأمور الآتية:

أ. أن يكون سالم من نقص الخلقة:

فشرطه أن يكون أكمل أهل زمانه خَلقا حال الإرسال (أي حال بعثه إلى الناس).

وقد يعترض بعقدة لسان موسى عليه السلام ، فيجاب:

بأن عقدة لسان موسى عليه السلام كانت قبل الإرسال، وأزيلت بدعوته عند الإرسال، بدليل:

دعاء موسى عليه السلام حين أوحى الله تعالى إليه، وأمره بالدعوة قال: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)، فأجابه تعالى: (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ).

ب. أن يكون سالما من:

العيوب المنفرة للطباع من الأمراض والأسقام كالبرص والجذام. وقد يعترض ببلاء أيوب عليه السلام الذي اصيب بداء جلدي نفَّرَ الناس منه، فيجاب: بأنَّ بلاءه كان قبل نبوته عليه السلام، وقد زال بعدها، قال سبحانه: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ).

ج. أن يكون سالما من دناءة الصناعة كالحجامة، ومن قلة المروءة كالأكل على الطريق. وهذا مبني على تقدير: أن العزف كان يستكر ذلك.

د. أن يكون سائما من الفظاظة والغلظة.

لأن قسوة القلب موجبة للبعد عن الله تعالى، إذ أنها منع المعاصي، لأن القلب هو المُضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، كما نطق به الحديث الصحيح. وفي الحديث: إن أبعد الناس من الله القلب القاسي.

ولأن لغلظه والشدة وعم اللين مع الناس، يوجب النفرة من النبي، لذلك يقول الله تعالى: (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ).

هذه الصفات التي مرت بنا الواجبة للأنبياء، تعني اتصافهم بكل كمال إنساني وتنفي عنهم كل نقص بشري.

لأن النبوة أشرف مناصب الخلق، ومقتضية لغاية الإجلال اللائق بها.

لذا:

فإن من المستحيل اتصافهم بأضداد هذه الصفات المذكورة، كالكذب والكفر وارتكاب الذنوب والكتمان والبلادة وعدم السلامة من العيوب وغيرها من الأمور التي تُخل بالشخصية. وبالتالي تُخل بحكمة بعثهم رسلا مبشرين ومنذرين.

التفاضل بين الانبياء والملائكة

اختلف الناس في هذه المسألة على عدة أقوال؛ منها :

القول الأول: تفضيل الأنبياء وصالحي البشر على الملائكة. وهو مذهب جمهور أهل السنة والجماعة .

واستدلوا بعدة أدلة؛ منها:

١- قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الدخان .

٢- قول الله عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ آل عمران.

٣- وقوله تعالى فيما جاء في شأن صالحي البشر: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾ البينة.

القول الثاني: تفضيل الملائكة على البشر مطلقا.وممن ذهب إلى هذا القول: ابن حزم، وغيره .

واستدلوا بعدة أدلة؛ منها:

١- قول الله تعالى في بني آدم: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء.

٢- قول الله سبحانه: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ النساء.

٣- قول الله عز وجل: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنعام.

القول الثالث: التوقف والسكوت عن التفضيل.

قال ابن أبي العز عن رأي الطحاوي في المسألة: (الشيخ -رحمه الله- لم يتعرضْ إلى هذه المسألة بنفي ولا إثبات، ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصدا؛ فإن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه وقف في الجواب عنها على ما ذكره في مآل الفتاوى، فإنه ذكر مسائل لم يقطعْ أبو حنيفة فيها بجواب، وعد منها: التفضيل بين الملائكة والأنبياء.

فإن الواجب هو الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس الاعتقاد أي الفريقين أفضل؛ فإن هذا لو كان من الواجبات لتبين نص قرآني يخص هذا الموضوع. وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾ ﴾ المائدة . ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ مريم .

... فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفيا وإثباتا -والحالة هذه- أوْلى

وتعقب بأن المعروف عند جمهور أهل السنة أن صالحي بني آدم أفضل من سائر الأجناس.

البراهمة وإنكارهم النبوات

وهي قبيلة بالهند فيهم اشراف اهل الهند ، ويقولون انهم من ولد برهمي ، وهو ملك من ملوكهم قديم، الذي دعا إلى إله مجرد أعلى وهو الخالق لهذا الكون، ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة تقلد بها سيوفهم وهم يقولون بالتوحيد الاّ انهم ينكرون النبوات ونفوا البعث ، وقولهم ان كان الله تعالى بعث الرسل والانبياء للناس ليخرجهم من الضلال الى النور فقد كان الاولى ان يضطر عقولهم الى الايمان به وقولهم بذلك بطل ارسال الرسل على هذا الوجه لا بل اصبح ارسال الرسل من باب الممتنع.

طبقاتهم

ثم إن البراهمة تفرقوا أصنافا :

١. فمنهم أصحاب البددة: ومعنى البد عندهم : شخص في هذا العالم لا يولد ولا يتزوج ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت.
٢. منهم أصحاب الفكرة: وهؤلاء أعلم منهم بالفلك والنجوم وأحكامها المنسوبة إليهم وللهند طريقة تخالف طريقة منجمي الروم والعجم وذلك أنهم يحكمون أكثر الأحكام باتصالات الثوابت دون السيارات وينشئون الأحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها ويعدون زحل السعد الأكبر وذلك لرفعة مكانه وعظم جرمه وهو الذي يعطي العطايا الكلية من السعادة والجزئية من النحوسة.
٣. منهم أصحاب التناسخ: فأما تناسخية الهند : فأشد اعتقادا لذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع على شجرة معلومة فيبيض ويفرخ ثم إذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره و مخالبه فتبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويسيل منه دهن يجتمع في أصل الشجرة في مغارة ثم إذا حال الحول وحان

وقت ظهوره انخلق من هذا الدهن مثله طير فيطير ويقع على الشجرة وهو أبدا كذلك، قالوا : فما مثل الدنيا وأهلها في الأدوار والأكوار إلا كذلك.

شبهات البراهمة وغيرهم في النبوات

ذهب قوم إلى القول بعدم حاجة الإنسان إلى هدي النبوة، فأنكروها زاعمين أن الإنسان يستطيع أن يكتفي بعقله في تنظيم حياته.

ومنكرو النّبوة فريقان:

الفريق الأول: فريق ينكر النّبوات، لأنه ينكر الله تعالى، ومعلوم أن من ينكر وجود المرسل لا بد وأن ينكر رسوله.

والرد على هذا الفريق لا يكون في إثبات النّبوات، وإنما يكون في إثبات وجود الله عزّ وجل).

الفريق الثاني: يعترف بوجود الله تعالى، ويؤمن به، ولكنه ينكر النّبوات، مكتفين بما تدركه عقولهم من خير أو شر. وعلى رأس هذا الفريق كثير من براهمة الهند والصابئة وبعض الفلاسفة، وقد تأثر بفلسفتهم بعض من المسلمين كأبي الحسين أحمد بن يحيى الراوندي، المتوفى سنة ٢٤٥ هـ.

ومن أدلة إنكار النّبوات:

١- إن ما يأتي به الرسول لا يخلو: إما أن يكون مما يدركه العقل، أو مما لا يدركه.

فإن جاء بها يوصل إليه العقل كان لا فائدة من بعثه، ويكون في العقل كفاية، وإذا خلا عن غرض فهو عبث وسفهٌ.

وإن جاء بها لا يدل عليه العقل، فلا يتلقى بالقبول، لأن المقبول هو الذي تدركه العقول.

الرد: بأن لهذا الدليل واضح البطلان، لأن كل مطلع على الرسالات السماوية

يعلم أنها قد اشتملت على ما يعرفه العقل وعلى ما لا يعرفه: فأما ما يعرفه العقل فكان لهذه الرسالات مهمة التأكيد عليه.

وأما ما لا يعرفه العقل – وهو الأكثر – فإن للرسالات السماوية دور إرشاد العقل

إليه، وتنبيهه إلى ما فيه النافع الصالح.

٢- إن الرسول من جنس المرسل إليه، وجوهرهما واحد، وتفضيل أحد المتماثلين

المتساويين على مثله ونوعه حيف ومحاباة وخروج عن الحكمة، وذلك غير جائز على الحكيم سبحانه وتعالى.

والرد بما يأتي:

أ- إن الله تعالى أن يخص بفضله من يشاء من خلقه، كما أن له أن يسوي بين سائرهم، فإن ذلك عدل منه وصواب من تدبيره. والله تعالى لا يفضل أحد الشخصين على الآخر المجانس له ابتداء ولا لأجل جنسه، ولكن لأجل أنه مستحق للتفضيل بالرسالة وإخلاصه في الاجتهاد.

ب- يلزم من قولكم أن يكون الله غير عادل، لأنه خص بعض خلقه بالعلم والقوة وكمال العقل والحواس، وخلق في بعض آخر الجهل والعمى.

وأنتم لا تقولون بذلك، بل تقولون إن ذلك لمصلحة الطرفين وسبيل لهم إلى نفع عظيم، وهو تعالى أعلم به، لذلك فإن إرساله تعالى بعض الخلق مصلحة للطرفين، الرسول والمرسل إليه، ولطفاً لهم في النظر في حجج العقول التي أمرهم بالرجوع إليها والعمل على موجبها.

٣- لا يجوز في حكمة الله عز وجل أن يبعث رسولاً إلى من يعلم أنه يكفر به، ويرد قوله، فوجب نفي بعث الرسل إلى هؤلاء، لأن ذلك خلاف الصواب.

والرد: بأنه يترتب على قولكم هذا:

أ- جواز بعث الرسل إلى من يعلم قبوله منهم وانتفاعه .

ب- أن لا يخلق الله سبحانه من يعلم أنه يكفر به.

ج- أن لا يحتج الله تعالى بالعقول، وما وضعه فيها من الأدلة على من يعلم أنه يجحدها ولا يستعملها.

٤- إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس، ليخرجهم من الضلال إلى الإيمان، فقد كان أولى به في حكمته، وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به.

والرد: بأنه يلزم من دليلكم القول بأنه كان أولى في حكمته أن لا يدعو الناس إلى الاستدلال، لكي يؤمنوا، لا سيما وأنه تعالى يعلم أن في الناس من لا يستدل، وفيهم

من يغمض عليه الاستدلال. فكان أولى به أن يضطر عقولهم إلى الإيمان به، ولا يكلفهم مؤونة النظر والاستدلال، وأن يلطف بهم ألطافاً يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة.

٥ - إن مما يبطل الرسالة هو أنا وجدنا المدعين لها يستدلون على صدقهم

بمستحيلات عقلية. مثل: فلق البحر، وخلق ناقة من صخرة، وقلب العصا حية،

وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والمشي على الماء، وإنطاق الذئب...، ونحو ذلك.

والرد: بأن امتناع لهذه الأمور في نظركم، لا يخلو:

- إما أن يكون في قدرة الصانع عز وجل، فإن قالوا: إنه ممتنع في قدرة الصانع. فقد ألحدوا وتركوا دينهم، لأنه يلزم أن يقولوا بامتناع خلقه تعالى لآدم وسائر المخلوقات. ولما قام الدليل على أن الله تعالى له الأمر والخلق

والملك فله أن يتصرف في عباده بالأمر والنهي، وله أن يختار منهم واحداً لتعريف أمره ونهيه، فيبلغ عنه إليهم، فلا استحالة في ذلك.

- أوأن يكون في العادة فإن قالوا: بل ذلك ممتنع في العادة.

قيل لهم: وما المانع من أن ينقض الله تعالى العادات، ويظهر المعجزات على أيدي رسله، كدليل قاطع على صدقهم؟

٦- إن الإنسان يمكنه الاكتفاء بالعلم في تنظيم حياته

الرد: بأن العلم مع تقدمه لا يزال باعتراف أقطاب العلم عاجزاً عن استكناه الكثير من أسرار الكون وألغاز الحياة. ثم إن أغلب نظرياته ظنية دحض منها اليوم ما كان مسلّا به بالأمس. ولو فرضنا أن العلم بعد نضوجه وبلوغه مرحلة الكمال يستطيع أن يضمن للبشرية سعادتها وينظم لها شؤونها. فمن المحقق أنه لن يهيمن على النفس البشرية هيمنة النبوة والتشريعات الإلهية، لذلك يبقى للثبوة سلطانها ودورها الرئيس في تهذيب النفس وكبح جماحها، وتوجيهها نحو الخير والحب والسلام.

٧- إن النظم والتشريعات التي يضعها الإنسان من وحي تجربته، وحاجاته المتطورة تغني عن هدي النبوة فلا حاجة للبشر إليها.

الرد: بأن سيطرة القوانين الوضعية على النفس هي سيطرة ظاهرية فقط غالباً، وامتثال الفرد لها امتثال شكلي في الغالب، وإذا تهرب الفرد منها فقد لا تراه عين القانون، وقد يتباهى البعض بمهارته في الانفلات من عقوبة القانون.